مفاتيح الرزق
في ضوء الكتاب والسنة

د/ فضل إلهي
الأستاذ المشارك بكلية الدعوة والإعلام



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وبارك وسلم.

أما بعد:

فإنّ مما يشغل بالَ كثير من المسلمين طلب الرزق. ويلاحظ على عدد كبير منهم أنّهم يرون أنّ التمسّك بالإسلام يقلّل من أرزاقهم. ولا يقتصر الأمر هذا بل أدهى من هذا وأمرّ أنّ بعض المحافظين على أداء بعض الفرائض الإسلامية يظنّون أنّه لابّد من الإغماض عن بعض الأحكام الإسلامية إذا أريد اليسر المادي والرخاء الاقتصادي.

إنّ أولئك ينسون أو يتناسون أنّ الخالق جلّ جلاله لم يشرع دينه ليرشد البشرية في أمور معادهم ويسعدهم فيها. فحسب، بل شرعه تعالى كذلك ليرشدهم في أمور معاشهم ويسعدهم في دنياهم. ولقد كان أكثر دعاء نبي الإسلام حبيب رب العالمين ﷺ الذي جعله الله

تعالى قدوة للبشرية: ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾[1].

لم يترك الخالق جلّ جلاله ونبينا الكريم ﷺ الأمة الإسلامية تتخبط في الظلام وتبقى في حيرة من أمرها عند السعي في طلب المعيشة، بل شرعت أسباب الرزق، وبيّنت، لو فهمتها الأمة، ووعتها، وتمسَّكت بها، وأحسنت استخدامها يسّر لها الرزَّاق ذو القوة المتين سبل الرزق من كل جانب ومن كل وجه، وفتح عليها بركات من السماء والأرض.

ورغبةً في تذكير وتعريف الإخوة المسلمين بتلك الأسباب، وتوجيه من أخطأ في فهمها، وتنبيه من ضلّ منهم عن الصراط المستقيم سعياً في طلب الرزق عزمت بتوفيق الله تعالى على جميع تلك الأسباب بين دفّتي هذا الكتيب، وعنونته: «**مفاتيح الرزق في ضوء الكتاب والسنة**».

---

(1) روى الإمام البخاري عن أنس ﷺ قال: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ (صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ ربنا آتنا في الدنيا حسنة، رقم الحديث 6389، 191/11).

الأمور التي راعيتها في هذا البحث:

وممّا راعيته – بفضل الله تعالى– أثناء إعداد هذا البحث ما يلي:

1- كان المرجع الأساسي للبحث كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ﷺ .

2- نقلت الأحاديث الشريفة من مراجعها الأصلية، وذكرت حكم العلماء عليها إلا ما نقلته عن الصحيحين حيث أجمعت الأمة على تلقيهما بالقبول[1].

3- سعيت أثناء الاستدلال بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة إلى الاستفادة من كتب التفسير وشروح الحديث.

4- حرّرت المراد بالأسباب المشروعة لطلب الرزق مستعيناً بعد الله تعالى بأقوال علماء الأمة حرصاً على إزالة اللبس حولها.

5- لم أقصد التعرّض للمنافع الأخرى التي جعلها الله تعالى لتلك الأسباب غير الرزق إلا ما جاء ذكره عرضاً، ولعلّ الله سبحانه وتعالى ييسِّر الأسباب للتحدّث عنها في وقت لاحق.

6- شرحت الكلمات الغريبة التي وردت في الأحاديث الشريفة رغبة في إتمام الفائدة إن شاء الله تعالى.

7- سجّلت معلومات وافية عن المراجع تسهيلًا لمن أراد الرجوع إليها.

(1) انظر: مقدمة النووي لشرحه على صحيح مسلم ص14، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر ص29.

8-لم أقصد حصر أسباب الرزق كلها، بل تناولت بالحديث بعض ما يسَّر المولى عز وجل لي جمعه.

خطة البحث

وقد كانت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة:

المطلب الأول: الاستغفار والتوبة.

المطلب الثاني: التقوى.

المطلب الثالث: التوكّل على الله تعالى.

المطلب الرابع: التفرّغ لعبادة الله عز وجل.

المطلب الخامس: المتابعة بين الحج والعمرة.

المطلب السادس: صلة الرحم.

المطلب السابع: الإنفاق في سبيل الله تعالى.

المطلب الثامن: الإنفاق على من تفرّغ لطلب العلم الشرعي.

المطلب التاسع: الإحسان إلى الضعفاء.

المطلب العاشر: المهاجرة في سبيل الله تعالى.

الخاتمة: تتضمَّن نتائج البحث والتوصية.

الشكر والدعاء

هذا، والشكر والحمد لله الأحد الصمد الذي أنعم على العبد الفقير إلى رحمته وعفوه وكرمه لمعالجة هذا الموضوع، ثم الشكر والدعاء لفضيلة الأخ الدكتور سيد محمد ساداتي الشنقيطي، وذلك لما استفدت منه أثناء إعداد هذا البحث، والشكر والتقدير كذلك للقائمين على المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد قسم الجاليات بالبطحاء بالرياض التابع لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية حيث كان أصل هذا الموضوع محاضرتين ألقيتا بقاعة المكتب. والدعاء كذلك لابني العزيز الحافظ حماد إلهي وأولادي الآخرين الّذين راجعوا معي النسخة المصفوفة للكتاب. جزى الله الجميع خير الجزاء في الدارين.

وأسأل الله ذا الجلال والإكرام أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ويجعله ذخراً لي ولأبويّ الكريمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، كما أسأل ربي الحي القيوم أن يوفقني وإخواني وأولادي وأقاربي والمسلمين جميعا للتمسك والاستفادة من أسباب الرزق المشروعة وييسّر لنا الخير في الدارين إنه سميع مجيب. آمين يارب العالمين. وصلى الله تعالى على نبيّنا وعلى آله وأصحابه وأتباعه وبارك وسلم.

فضل إلهي

المطلب الأول

الاستغفار والتوبة

من أهم ما يستنزل به الرزق الاستغفار والتوبة إلى الله الغفّار الستّار. وسأتناول – بتوفيق الله تعالى – هذا الموضوع من خلال العنوانين التاليين:

أولا: حقيقة الاستغفار والتوبة.

ثانيا: السند الشرعي لكون الاستغفار والتوبة من مفاتيح الرزق.

أولا: حقيقة الاستغفار والتوبة:

يرى كثير من الناس أنّ الاستغفار والتوبة هما باللسان وحده. يقول أحدهم: «أستغفر الله وأتوب إليه» ولا يوجد لهذه الكلمات أثر في القلب، كما لا يشاهد لها تأثير على الجوارح. إن مثل هذا الاستغفار والتوبة فعل الكذّابين.

بيّن العلماء – جزاهم الله تعالى عنّا خير الجزاء – حقيقة الاستغفار والتوبة. فعلى سبيل المثال قال الإمام الراغب الأصفهاني: «التوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزم على ترك

المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن تدارك من الأعمال بالإعادة. فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة»[1].

وبينّ الإمام النووي هذا الأمر بأسلوبه فقال: «قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلّق بحق آدميّ فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصحّ توبته.

وإن كانت المعصية تتعلّق بآدميّ فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالًا أو نحوه ردَّه إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكَّنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحلّه منه»[2].

وقال الإمام الراغب الأصفهاني عن الاستغفار: «طلب ذلك بالمقال والفعل. وقوله: ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** ﴾ لم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط، بل باللسان والفعل، فقد قيل: الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال فعل الكذّابين»[3].

---

(1) المفردات في غريب القرآن، مادة «توب»، ص 76.
(2) رياض الصالحين ص 41 – 42.
(3) المفردات في غريب القرآن، مادة «غفر»، ص 362.

ثانيا: السند الشرعي لكون الاستغفار والتوبة من مفاتيح الرزق:

وردت عدة نصوص في القرآن الكريم والحديث الشريف تدّل على أن الاستغفار والتوبة من أسباب الرزق بفضل الله تعالى. وفيما يلي أستعرض بتوفيق من الله تعالى بعض تلك النصوص:

أ- منها ما ذكره جلّ جلاله عن نوح عليه السلام أنّه قال لقومه:

﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾[1].

ففي هذه الآيات الكريمة بيان لتحقّق الأمور التالية بالاستغفار:

1- مغفرة الله تعالى الذنوب وذلك بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** ﴾.

2- إنزال الله تعالى مطراً يتبع بعضه بعضا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «(مدراراً) يتبع بعضها بعضا»[2].

3- إكثار الله تعالى الأموال والأولاد. قال عطاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ** ﴾ «يكثر أموالكم وأولادكم»[1].

---

(1) سورة نوح / الآيات: 10-12.

(2) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورح نوح، 666/8.

4- جعل الله تعالى بساتين.

5- جعل الله تعالى أنهارا.

ويقول الإمام القرطبي: «في هذه الآية والتي في (هود)[2]» دليل على أنّ الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار»[3].

ويقول الحافظ ابن كثير في تفسير: «أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من نبات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرّ لكم الضرع، وأمدّكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخلّلها بالأنهار الجارية بينها»[4].

هذا، وقد تمسك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بما جاء في هذه الآيات عند طلبه المطر من الرب جلّ جلاله.

فقد روى مطرف عن الشعبي أنّ عمر ﷺ خرج يستسقي بالناس، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقيل له: «ما سمعناك استقيت».

---

(1) تفسير البغوي 398/4، وانظر أيضًا: تفسير الخازن 154/7.

(2) إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** .... ﴾ الآية. وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله تعالى بعد هذه الآيات.

(3) تفسير القرطبي 302/18، وانظر أيضًا: الإكليل في استنباط التنزيل ص 274، وفتح القدير 417/5.

(4) تفسير ابن كثير 449/4.

فقال: «طلبت الغيث بمجاديح[1] السماء التي يستنزل به القطر، ثم قرأ: ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا** ﴾[2].

وقد أرشد الإمام الحسن البصري أيضاً إلى الاستغفار كل من جاء إليه شاكياً الجدب، والفقر، وقلة النسل، وجفاف البستان. فقد ذكر الإمام القرطبي عن ابن صبيح قال: «شكا رجل إلى الحسن الجدوبة، فقال له: «استغفر الله».

وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: «استغفر الله».

وقال له آخر: «ادع الله أن يرزقني ولداً».

فقال له: استغفر الله».

وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: «استغفر الله».

فقلنا له في ذلك.

وفي رواية: فقال له الربيع بن صبيح: «أتاك رجال يشكون أنواعا فأمرتهم كلَّهم بالاستغفار»[3].

---

(1) (مجاديح): واحدها مجدح، وهو نجم من النجوم... وهي عند العرب من الأنواء الدالة على المطر فجعل عمر رضي الله عنه الاستغفار مشبهًا بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفون، وكانوا يزعمون أن من شأنها المطر، لا أنها يقول بالأنواء. (تفسير الخازن 154/7).

(2) المرجع السابق 154/7، وانظر أيضًا: روح المعاني 72/29.

(3) تفسير الخازن 154/7، وانظر أيضا: روح المعانى 73/29.

فقال: «ما قلت من عندي شيئا. إن الله تعالى يقول في سورة نوح: ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾ [1].

الله أكبر! ما أعظم ثمرة الاستغفار وأجلّها وأكثرها! اللّهم اجعلنا من المستغفرين، وهب لنا من لدنك ثمراته في الدنيا والآخرة. إنك سميع مجيب. آمين يا حيّ يا قيوم.

ب – ومنها قول الله عز وجلّ حكاية عن دعوة هود عليه الصلاة والسلام قومه إلى الاستغفار: ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ** ﴾ [2].

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: «ثم أمرهم – هود عليه السلام قومه – بالاستغفار الّذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسّر الله عليه رزقه،

(1) تفسير القرطبي 302/18 – 303، وانظر أيضا: تفسير الكشاف 4/ 192، والمحرر الوجيز 16/ 123.
(2)سورة هود/الآية: 52.

وسهّل عليه أمره، وحفظ شأنه، ولهذا قال: ﴿ **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا** ﴾ [1].

اللهم اجعلنا من المتصفين بصفة التوبة والاستغفار، ويسّر لنا أرزاقنا، وسهِّل علينا أمورنا، واحفظ لنا شؤوننا إنك سميع مجيب. آمين يا ذا الجلال والإكرام.

جـ – ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ** ﴾ [2].

ففي الآية الكريمة وعد من الله القادر المقتدر بالمتاع الحسن لمن استغفر وتاب. والمراد بقوله تعالى: ﴿ **يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا** ﴾ – كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما – يتفضّل عليكم بالرزق والسعة [3].

(1) تفسير ابن كثير 492/2، وانظر أيضا: تفسير القرطبي 51/9.
(2) سورة هود/الآية: 3.
(3) زاد المسير 75/4.

ويقول الإمام القرطبي في تفسيره: «هذه ثمرة الاستغفار والتوبة، أي يمتّعكم بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش، ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم» [1].

وجاء هذا الوعد الرباني الكريم في شكل ترتيب الجزاء على شرطه. يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: « هذه الآية الكريمة تدلّ على أنّ الاستغفار والتوبة إلى الله من الذنوب سبب لأن يمتّع الله من فعل ذلك متاعا حسنا إلى أجل مسمّى، لأنه رتّب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه»[2].

د – ومما يدلّ على كون الاستغفار والتوبة من مفاتيح الرزق أيضاً ما رواه الأئمة أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « من أكثر الاستغفار [3] جعل الله له من كل هم[1]فرجا[2]، ومن كل ضيق[3] مخرجا[4]، ورزقه من حيث لا يحتسب[5]» [6].

---

(1) تفسير القرطبي 403/9، وانظر أيضا: تفسير الطبري 229/15 – 230؛ والكشاف 258/2، وتفسير البغوي 373/4، وفتح القدير 695/2، وتفسير القاسمي 63/9.

(2) أضواء البيان 9/3.

(3) (من أكثر الاستغفار): وفي رواية: (من لزم الاستغفار). (انظر: سنن أبي داود 267/4، وسنن ابن ماجة 339/2). ومعناه – كما قال الشيخ أبو الطيب العظيم آبادي – أي عند صدور معصية وظهور بلية، أو من دوام عيه فإنه في كل نفس يحتاج

ففي هذا الحديث الشريف أخبر الصادق المصدوق الناطق بالوحي ﷺ عن ثلاث ثمرات يجنيها من أكثر الاستغفار، أحدها: الرزق من الله الرزّاق ذي القوة المتين من حيث لا يظنّ ولا يرجو ولا يخطر بباله. فعلى الراغبين في الرزق المسارعة إلى إكثار الاستغفار بالمقال والفعال،

إليه، ولذا قال ﷺ: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»رواه ابن ماجة بإسناد حسن صحيح . (عون المبعود 267/4).

(1) (همّ): أى غم يهمه. (مرقاة المفاتيح 171/5).

(2) (فرجا) خلاصاً. (المرجع السابق 171/5)

(3) (ضيق): أي شدة ومحنة. (المرجع السابق 171/5).

(4) (مخرجاً) أي طريقا واسعا يخرجه إلى سعة ومنحة. (المرجع السابق 171/5).

(5) (ورزقه من حيث لا يحتسب): أي حلالا طيبا من حيث لا يظن ولا يرجو ولا يخطر بباله. (انظر: المرجع السابق 171/5).

(6) المسند، رقم الحديث 2234، 55/4 – 56، واللفظ له؛ وسنن أبي داود، أبواب قيام الليل، تفريع أبواب الوتر، باب في الاستغفار، رقم الحديث 1515، 267/4؛ وكتاب السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، رقم الحديث 2/10290، 6 /118؛ وسنن ابن ماجة، أبواب الآداب، باب الاستغفار، رقم الحديث 3864، 339/2؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب التوبة والإنابة، 292/4.

وقد ضعف هذا الحديث بعض المحدثين بسبب أحد رواته.

(انظر: التلخيص للحافظ الذهبي 262/4، وعون المعبود 267/4، وضعيف سنن أبي داود للشيخ الألباني ص149).

لكن صحح إسناده الإمام الحاكم. (انظر: المستدرك 262/4) وقال عنه الشيخ أحمد محمد شاكر:« إسناده صحيح»

هامش المسند 55/4) كما أجاب عما قيل عن أحد رواته. والله تعالى أعلم بالصواب.

ولكن الحذار الحذار من الاقتصار على الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال، فإنه فعل الكذّابين.

المطلب الثاني

التقوى

ومما يستنزل به الرزق التقوى. وسأتحدّث بتوفيق الله تعالى عن هذا الموضوع من خلال النقطتين التاليتين:

أولا: المراد بالتقوى.

ثانيا: السند الشرعي لكون التقوى من مفاتيح الرزق.

أولا: المراد بالتقوى:

بيّن علماء الأمة رحمهم الله تعالى المراد بالتقوى. فعلى سبيل المثال عرفّه الإمام الراغب الأصفهاني بقوله: «حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور. ويتمّ ذلك بترك بعض المباحات»[1].

وعرّف الإمام النووي التقوى بقوله: «امتثال أمره ونهيه. ومعناه: الوقاية من سخطه وعذابه سبحانه وتعالى»[2].

كما عرّفه الإمام الجرجاني بقوله: «الاحتراز بطاعة الله تعالى عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحقّ به العقوبة من فعل أو ترك»[3].

---

(1) المفردات في غريب القرآن، مادة «وقى»، ص531.
(2) تحرير ألفاظ التنبيه ص322.
(3) كتاب التعريفات ص68.

فمن لم يحفظ نفسه عما يؤثم فليس بمتق. فمن شاهد بعينيه ما حرّمه الله تعالى، أو سمع بأذنيه ما يبغضه الله تعالى، أو بطش بيديه ما لا يرضاه الله تعالى، أو مشى إلى ما يمقته الله تعالى فإنه لم يعصم نفسه عن الإثم.

ومن خالف أمره سبحانه وتعالى وارتكب ما نهى عنه فليس من المتقين.

ومن عرّض بالمعصية نفسه لسخط الله تعالى وعقوبته فقد أخرج نفسه عن وصفّ المتقين.

ثانيا: السند الشرعي لكون التقوى من مفاتيح الرزق:

وردت عدّة نصوص تدلّ على أن التقوى من أسباب الرزق. وفيما يلي بعض منها.

أ – قوله عز وجل: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [1]. بينّ المولى جلّ جلاله أنّ من تحقّق لديه شرط التقوى فإنّ الله تعالى يجزيه بأمرين: أحدهما: ﴿ **يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا** ﴾

(1) سورة الطلاق /الآيتان 2 3.

أي: ينجيه –كما قال ابن عباس رضي الله عنهما – من كل كرب الدنيا والآخرة [1].

ثانيهما: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ أي رزقه من حيث لا يأمل ولا يرجو[2].

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: «أي ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا تخطر بباله»[3].

ما أعظم ثمرة التقوى وأجلها!. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إنّ أكبر آية في القرآن فرجاً ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [4].

---

(1) انظر: تفسير القرطبي 159/18. وقال الربيع بن خثيم: «يجعل له مخرجا من كل ضيق على الناس». (زاد المسير 291/8 – 292؛ وانظر أيضا: تفسير البغوي 357/4، وتفسير الخازن 108/7).

(2) انظر: زاد المسير 291/8 – 292، وانظر أيضا: الكشاف فقد جاء فيه: « من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه». (120/4).

(3) تفسير ابن كثير 400/4.

(4) تفسير ابن كثير 400/4؛ وانظر أيضا: تفسير ابن مسعود 651/2.

ب – ومنها قوله جلّ جلاله: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ (1).

بيّن الرب تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة أنّه لو تحقّق في أهل القرى أمران، وهما: الإيمان والتقوى وسّع سبحانه وتعالى عليهم الخير ويسّره لهم من كل جانب.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى:

﴿ **لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾.

«لوسَّعنا عليهم الخير، ويسَّرناه لهم من كل جانب»(2).

وما جاء في هذه الآية الكريمة من وعد الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى فيه عدة أمور، منها ما يلي:

1 – وعد الله تعالى بفتح البركات لهم، والبركات جمع البركة وهي– كما قال الإمام البغوي – المواظبة على الشيء(3)، أو –كما قال الإمام الخازن – بثبوت الخير الإلهي في الشيء(4). فالّذي يستفاد من

---

(1) سورة الأعراف /الآية: 96.
(2) تفسير أبي السعود 253/3.
(3) تفسير البغوي 183/2.
(4) تفسير الخازن 266/2.

كلمة «البركة» إذا أنّ ما يعطيهم سبحانه وتعالى بسبب إيمانهم وتقواهم هو الخير المستمر لا شرّ ولا تبعة عليهم بعده. وقد عبّر عن هذا السيد محمد رشيد رضا بقوله: «وأمّا المؤمنون فإنّ ما يفتح عليهم يكون بركة ونعمة، ويكون أمره فيهم الشكر لله والرضا منه، والاغتباط بفضله، واستعماله في سبيل الخير دون الشر، وفي الإصلاح دون الإفساد، ويكون جزاؤهم عليه من الله تعالى زيادة النعم ونموَّها في الدنيا وحسن ثواب عليها في الآخرة»[1].

وعبر عن ذلك الشيخ ابن عاشور بقوله: «ومعنى البركة الخير الصالح الذي لا تبعة عليه في الآخرة، فهو أحسن أحوال النعمة»[2].

2 – وردت كلمة الجمع في قوله تعالى: ﴿ **لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ** ﴾، وهي كما قال الشيخ ابن عاشورا – للدلالة على تعدّدها باعتبار تعدّد أصناف الأشياء المباركة[3].

3 – قال جلّ جلاله ﴿ **بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ والمراد به –كما قال إمام الرازي – بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار، وكثرة المواشي والأنعام، وحصول الأمن والسلامة،

(1) تفسير المنار 25/9.
(2) تفسير التحرير والتنوير 22/9.
(3) المرجع السابق 22/9.

وذلـك لأنّ السـماء تجـري مجـرى الأب، والأرض تجـري مجـرى الأم، ومنهما يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتدبيره[1].

جـ – ومنهـا قـول الله جـل جلالـه: ﴿ **وَلَـوْ أَنَّهُـمْ أَقَـامُوا التَّـوْرَاةَ وَالْإِنْجِيـلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّنْ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ** ﴾ [2].

أخبرنا أصدق القـائلين ربنـا تبـارك وتعـالى عـن أهـل الكتـاب أنهـم لـو علموا بما في التوراة والإنجيل والقرآن –كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية[3] – لأكثر تعالى بذلك الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض[4].

وقال الشيخ يحيى بن عمر الأندلسي:« يريد تعالى – والله أعلم – لو أنهم عملوا بما أنزل في التوراة والإنجيل وهذا القرآن لأكلوا من فوقهم

(1) التفسير الكبير 185/12؛ وانظر أيضا: تفسير الخازن 266/2، وتفسير التحرير والتنوير 22/9.
(2) سورة المائدة/ الآية: 66.
(3) انظر: تفسير الطبري 463/10، والمحرر الوجيز 152/5 – 153، وزاد المسير 395/2، وتفسير ابن كثير 86/2.
(4) انظر: المرجع السابق 86/2، وتفسير الكشاف 629/1 – 630، وفتح القدير حيث جاء فيه: «ذكر فوق وتحت للمبالغة في تيسير أسباب الرزق لهم، وكثرتها، وتعدد أنواعها»(85/2)، وتفسير التحرير والتنوير حيث جاء فيه «أي لرزقوا من كل سبيل».(254/4).

ومـن تحـت أرجلهـم، يعـني – والله أعلـم – لأسـبغ علـيهم الـدنيا إسباغاً»[1].

وقال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة: « ونظير هذه الآية: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [2]، ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴾ [3] ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [4] فجعل تعالى التقى من أسباب الرزق كما في هـذه الآيات، ووعـد بالمزيـد لمـن شـكرفقال: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [5] [6].

فكل من رغب في السعة في الرزق ورغد العيش فليحفظ نفسه عما يؤثم، وليتمثل أوامر الله تعالى، وليجتنب نواهيه، وليصن نفسه عما تستحقّ به العقوبة من فعل منكر أو ترك معروف.

(1) «كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق» ص41.
(2) سورة الطلاق/ الآيتان: 2 – 3.
(3) سورة الجن/ الآية: 16.
(4) سورة الأعراف/ الآية: 96.
(5) سورة إبراهيم/ جزء من الآية 7.
(6) تفسير القرطبي 241/6.

المطلب الثالث

التوكل على الله تعالى

ومما يستنزل به الرزق التوكّل على الله الأحد الصمد.

وسأتحدّث عن هذا الأمر إن شاء الله تعالى ضمن العناوين الثلاثة التالية:

أولا: المراد بالتوكل على الله تعالى.

ثانيا: السند الشرعي لكون التوكّل على الله تعالى من مفاتيح الرزق.

ثالثا: هل التوكّل يقتضي ترك الكسب؟

أولا: المراد بالتوكّل على الله تعالى:

بيّن علماء الأمة – جزاهم الله تعالى عنّا خيرا – معنى التوكّل. فعلى سبيل المثال قال الإمام الغزالي: «التوكّل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده» [1].

وقال العلّامة المناوي: « التوكّل: إظهار العجز والاعتماد على المتوكَّل عليه»[2].

(1) إحياء علوم الدين 259/4.

(2) فيض القدير 311/5.

وقال الملّا علي القاري مبيِّناً المراد بالتوكلّ على حق التوكّل: «بأن تعلموا يقيناً أن لا فاعل في الوجود إلا الله، وأنّ كل موجود من خلق ورزق، وعطاء ومنع، وضرّ ونفع، وفقر وغنى، ومرض وصحة، وموت وحياة، وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الموجود، من الله تعالى»[1].

ثانيا: السند الشرعي لكون التوكل على الله تعالى من مفاتيح الرزق:

روى الأئمة أحمد والترمذي وابن ماجة وابن المبارك وابن حبان والحاكم والقضاعي والبغوي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لو أنكم توكّلون على الله حق توكّله لرزقتم كما ترزق الطير[2] وتغدو[3] خماصاً[4] وتروح[5] بطاناً[6]»[7].

(1) مرقاة المفاتيح 156/9.

(2) الطير: جمع طائر، وقد يقع على الواحد، يذكر ويؤنث. (معجم المؤنثات السماعية للدكتور قينبي ص135).

(3) «تغدو»: تذهب أول النهار. (مرقاة المفاتيح 156/9).

(4) (خماصا) بكسر الخاء المعجمة جمع خميص أي جياعا. (المرجع السابق 156/9).

(5) (تروح): ترجع آخر النهار. (المرجع السابق 156/9).

(6) (بطانا): بكسر الموحدة جمع بطين وهو عظيم البطن، والمراد شباعا (المرجع السابق 156/9).

(7) المسند، رقم الحديث 205، 1/ 243، ورقم الحديث 370، 313/1، ورقم الحديث 373، 304/1؛ وجامع الترميذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، رقم الحديث 2447، 7/7، واللفظ له؛ وسنن ابن ماجة، أبواب الزهد، التوكل

ففي هذا الحديث الشريف بيّن الناطق بالوحي رسول الله ﷺ أنّ التوكّل على الله تعالى حق التوكّل مرزوق كما ترزق الطير. وكيف لا يكون كذلك فقد توكّل على الحيِّ الذي لا يموت، ومن توكّل عليه فهو حسبه. قال جلّ جلاله: ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [1].

وقال الربيع بن خثيم في تفسيره: «من كلّ ما ضاق على الناس»[2].

واليقين، رقم الحديث 4216، 419/2؛ وكتاب الزهد لابن المبارك، الجزء الرابع، باب التوكل والتواضع، رقم الحديث 559، ص196 – 197؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الورع والتوكل، ذكر الأخبار عما يجيب على المرءمن قطع القلوب عن الخلائق بجميع العلائق في أحوال وأسبابه، رقم الحديث 730، 509/2؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب الرقائق 318/4؛ ومسند الشهاب، لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، رقم الحديث 1444، 319/2؛ وشرح السنة للبغوي كتاب الرقاق، باب التوكل على الله عز وجل، رقم الحديث 4108، 301/14.

وقال عنه الإمام الترميذي: « هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه». (جامع الترميذي 8/7).وقال عنه الإمام الحاكم:«هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». (المستدرك على الصحيحتين 318/4).

ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص 318/4).

وقال عنه الإمام البغوي: «هذا حديث حسن». شرح السنة 301/14).

وصحح اسناده الشيخ أحمد محمد شاكر. (انظر: هامش المسند 243/1).

وصححه الشيخ الألباني. (انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم، الحديث 310، المجلد الأول، الجزء الثالث/ الصفحة 12).

(1) سورة الطلاق/ جزء من الآية 3.

(2) شرح السنة 298/14.

ثالثا: هل التوكّل يقتضي ترك الكسب؟

قد يقول بعض الناس: «حيث إنّ المتوكِّل على الله تعالى مرزوق فما علينا الكد والجد والسعي لكسب المعيشة، بل لنا أن نجلس ونتكاسل ويأتينا رزقنا من السماء».

إنّ هذه القول ليدلّ على جهل قائله بحقيقة التوكل. لقد شبَّه النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه المتوكِّل المرزوق بالطير التي تذهب أول النهار في طلب الرزق وتعود آخره إلا إنه ليس لها ما تعتمد عليه من متجر أو مزرع، أو مصنع أو وظيفة. إنّها تخرج معتمدة ومتوكِّلة على الله الأحد الصمد. وقد نّبه علماء الأمة – جزاهم الله تعالى عنّا خير الجزاء – إلى هذا الأمر. فعلى سبيل المثال قال الإمام أحمد:

«ليس في حديث ما يدلّ على ترك الكسب بل فيه ما يدلّ على طلب الرزق، وإنما أراد لو توكّلوا على الله في ذهابهم ومجيئتهم وتصرّفهم وعملوا أنّ الخير بيده لم ينصرفوا إلا غانمين سالمين كالطير»[1].

وقد سئل الإمام أحمد عن رجل جلس في بيته أو في المسجد وقال: «لا أعمل شيئاً حتى تأتيني رزقي».

فقال : «هذا رجل جهل العلم، فقد قال النبي ﷺ : «إنّ الله جعل رزقي تحت ظل رمحي».

(1) نقلا عن تحفه الأحوذي 7/8.

وقال: «لو توكّلتم على الله حق توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق.

وقال:« وكان الصحابة يتّجرون ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم»(1).

وقال الشيخ أبو حامد:« قد يظنُّ أنّ معنى التوكُّل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة أو كلحم على وضم، وهذا ظنّ الجهّال فإنّ ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكِّل، فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظور من محظورات الدين؟.

بل نكشف الحق فيه، فنقول: « إنما يظهر تأثير التوكّل في حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده».

وقال الإمام أبو قاسم القشيري: «اعلم أنّ التوكُّل محلّه القلب، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكُّل بالقلب بعد ما يحقّق العبد أنّ الرزق من قبل الله تعالى، فإن تعسَّر شيء فبتقديره ،وإن تيسَّر شيء فبتيسره»(2).

(1) نقلا عن فتح الباري 305/11 – 306.

(2) نقلا عن مرقاة المفاتيح 157/5.

ومما يدلّ على أنّ التوكّل على الله تعالى لا يقتضي ترك الكسب ما رواه الإمامان ابن حبان والحاكم عن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه ﵁ قال: قال رجل للنبي ﷺ : «أرسل ناقتي وأتوكّل».

قال:«اعقلها وتوكّل»[1].

وفي رواية عند الإمام القضاعي: قال عمرو بن أمية ﵁ : قلت يا رسول الله ! أقيّد راحلتي وأتوكّل على الله، أو أرسلها وأتوكل؟».

قال: « قيّدها وتوكّل»[2].

فخلاصة الكلام أنّ التوكّل لا يقتضي ترك الكسب، وأنّه على المرء المسلم أن يكدّ ويجدّ ويسعى لكسب المعيشة إلا أنه لا يعتمد على كدّه وجّده وسعيه بل يعتقد أنّ الأمر كله لله تعالى، وأنّ الرزق منه سبحانه وتعالى وحده.

---

(1) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الورع والتوكل، ذكر الأخبار بأن المرء يجب عليه مع توكل القلب الاحتراز بالأعضاء ضد قول من كرهه، رقم الحديث 731، 510/2، واللفظ له؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، ذكر عمرو بن أمية رضي الله عنه، 623/3.
وقال عنه الحافظ الذهبي:«سنده جيد». (التلخيص 623/3).
وأورد الحافظ الهيثمي بنحوه في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 303/10، وقال عنه: «رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح غير يعقوب بن عبد الله بن عمرو بن أمية الضميري، وهو ثقة. (المرجع السابق 303/10).
(2) مسند الشهاب، «قيدها وتوكل»، رقم الحديث 633، 368/1.

المطلب الرابع

التفرّغ لعبادة الله عز وجل

ومن مفاتيح الرزق أنّ يتفرّغ العبد لعبادة ربه عز وجل.

وسأتحدَّث عن هذا الموضوع بعون الله تعالى من خلال النقطتين التاليتين:

أولا: المراد بالتفرّغ للعبادة.

ثانيا: السند الشرعي لكون التفرّغ للعبادة من مفاتيح الرزق.

أولا: المراد بالتفرّغ للعبادة:

لا يظنَّنَّ أحد أنّ المراد بالتفرّغ للعبادة ترك السعي لكسب المعيشة والجلوس في المسجد ليلاً ونهاراً، بل المراد به – والله تعالى أعلم – أن يكون العبد حاضر القلب والجسد أثناء العبادة، خاشعاً خاضعاً لله الأحد، مستحضراً عظمة الرب تعالى، مستشعراً أنه يناجي الملك المقتدر، ويكون كما جاء في الحديث الشريف: « أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[1] ولا يكون ممن تكون أجسادهم في المساجد وقلوبهم خارجها. يقول الملاّ على القاريء في شرح قوله ﷺ : «تفرّغ لعبادتي»: أي: بالغ في فراغك قلبك لعبادة ربك»[2].

ثانيا: السند الشرعي لكون التفرّغ للعبادة من مفاتيح الرزق:

وردت عدة نصوص تدّل على كون التفرّغ لعبادة الله عز وجل من مفاتيح الرزق. ومن تلك النصوص ما يلي:

أ – ما رواه الأئمة أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إن الله تعالى يقول: «يا ابن آدم ! تفرَّغ

(1) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان...، جزء من رقم الحديث 5 (9)، 39/1.

(2) مرقاة المفاتيح 26/9، وانظر أيضا: تحفة الأحوذي حيث جاء فيه: «تفرغ من مهماتك لطاعتي». (140/7).

لعبادتي أملأ صدرك[1], غنى، وأسدّ فقرك[2]، وإن لا تفعل ملأت يدك شغلاً[3]، ولم أسدّ فقرك»[4].

بيّن النبي الكريم الصادق المصدوق ﷺ في هذا الحديث الشريف أنّ الله تعالى وعد لمن تفرّغ لعبادته بجائزتين، وهدّد من لم يتفرّغ لها بعقوبتين.

أما الجائزتان فهما: ملؤ الله تعالى قلب المتفرّغ لعبادته بالغنى وسدّ حاجته إلى الناس.

وأما العقوبتان فهما ملؤ الله تعالى يدى الذي لا يتفرّغ لعبادته بالأشغال وعدم سدّ فقره حيث يبقى مفتقراً إلى الناس.

---

(1) (صدرك): «أي قلبك الذي في صدرك». (فيض القدير 308/2).

(2) (أسد فقرك): «أسد باب حاجتك إلى الناس». (مرقاة المفاتيح 26/9).

(3) (ملأت يديك شغلا): بضم الشين وضم الغين، وتسكن للتخفيف. وخص اليدين لأن مزاولة الاكتساب بهما. (انظر: فيض القدير 308/2).

(4) المسند، رقم الحديث 8681، 284/16؛ وجامع الترميذي، وأبواب صفة القيامة، باب، رقم الحديث 2584، 140/7؛ واللفظ له؛ وسنن ابن ماجة، أبواب الزهد، الهم بالدنيا، رقم الحديث 4159، 408/2؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، 443/2.

وقال عنه الإمام الترميذي: «هذا حديث حسن غريب» (جامع الترميذي 141/7).

وقال عنه الإمام الحاكم: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». (المستدرك 443/2)، ووافقه الحافظ. (انظر: التلخيص 443/2).

وقال عنه الشيخ الألباني: «صحيح». (صحيح سنن الترمذي 300/2؛ سنن ابن ماجة 393/2).

ب – ومنها ما رواه الإمام الحاكم عن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « يقول ربكم تبارك وتعالى: «يا ابن آدم ! تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقا. يا ابن آدم ! لا تباعدني فاملأ قلبك فقراً، واملأ يديك شغلاً»[1].

ففي هذا الحديث الشريف أخبر الناطق بالوحي رسولنا الكريم ﷺ عن وعد الله الذي ليس أحد أوفى بعهده منه بثمرتين لمن تفرّغ لعبادته تعالى، وهما: ملؤه تعالى قلبه بالغنى، ويديه بالرزق.

كما نبّه ﷺ على تهديد العزيز ذي الانتقام لمن باعد عنه بعقوبتين، وهما: ملؤه تعالى قلبه فقراً، ويديه شغلاً.

ومن المعلوم أنّ من أغنى قلبه المغني جلّ جلاله فلا يقرب منه الفقر أبدا، ومن ملأ الرزّاق ذو القوة المتين يديه رزقا فلا يفلس أبداً. ومن ملأ القادر المقتدر الملك العزيز قلبه فقراً فلا أحد يستطيع إغناءه، ومن أشغله الجبّار القهّار فلا أحد يستطيع منحة الفراغ.

---

(1) المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، 326/4، وقال عنه الإمام الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». (المرجع السابق 326/4).
ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص 326/4). وقال الشيخ الألباني: « وهو كما قالا». (سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث 1359، 347/3).

المطلب الخامس

المتابعة بين الحج والعمرة

ومن الأعمال التي جعلها الله جلّ جلاله من مفاتيح الرزق «المتابعة بين الحج والعمرة». وسأتناول هذا الموضوع بعون الله تعالى من خلال النقطتين التاليتين:

أولا: المراد بالمتابعة بين الحج والعمرة.

ثانيا: السند الشرعي لكون المتابعة بين الحج والعمرة من مفاتيح الرزق.

أولا: المراد بالمتابعة بين الحج والعمرة:

يقول الشيخ أبو الحسن السندي مبيِّناً المراد بالمتابعة بين الحج والعمرة: «اجعلوا أحدها تابعاً للآخر واقعا على عقبه، أي إذا حججتم فاعتمروا، وإذا اعتمرتم فحجّوا فإنهما متعابعان»[1].

(1) حاشية الإمام السندي على سنن النسائي 115/5؛ وانظر أيضًا: فيض القدير للمناوي 225/3.

ثانيا: السند الشرعي لكون المتابعة بين الحج والعمرة من مفاتيح الرزق:

من الأحاديث الشريفة الدالة على أن المتابعة بين العمرة والحج من مفاتيح الرزق ما يلي:

أ- روى الأئمة أحمد والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن حبان عن عبد الله – ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير[1] خبث [2] الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة [3] ثواب إلا الجنة»[4].

---

(1) (الكير): بكسر الكاف، كير الحداد المبني من الطين، وقيل زق ينفخ به النار. والظاهر أن المراد ههنا نفس النار على الأول، ونفخها على الثاني (حاشية الإمام السندي 115/5).

(2) (خبث): بفتحتين، ويروى بضم فسكون، هو الوسخ والرديء الخبيث. (المرجع السابق 115/5 - 116).

(3) (المبرورة): الحج الذي وفيت أحكامه فوقع موافقًا لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل. (تحفه الأحوذي 454/3).

(4) المسند، رقم الحديث 3669، 244/5 – 245؛ وجامع الترمذي أبواب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، رقم الحديث 807، 454/3؛ واللفظ له؛ وسنن النسائي، كتاب مناسك الحج، فضل المتابعة بين الحج والعمرة، 115/5؛ وصحيح ابن خزيمة، كتاب المناسك، باب الأمر بالمتابعة بين الحج والعمرة، رقم الحديث 464 ، 130/4؛ والإحسان إلى تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة، رقم الحديث 3693، 6/9.

وقال عنه الإمام الترمذي: «حديث ابن مسعود رضي الله عنه حسن صحيح غريب»

ففي هذا الحديث الشريف بيّن الصادق المصدوق الناطق بالوحي ﷺ أنّ ثمرة المتابعة بين الحج والعمرة زوال الفقر والذنوب. وقد عنون الإمام ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه بقوله: «ذكر نفي الحج والعمرة الذنوب والفقر عن المسلم بهما»[1].

وقال الإمام الطيبي في شرح قوله ﷺ : «فإنهما ينفيان الفقر والذنوب»: «إزالته للفقر كزيادة الصدقة للمال»[2].

ب- ومنها ما روى الإمام النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[3].

فعلى الراغبين في نفي الفقر والذنوب عنهم المبادرة إلى المتابعة بين الحج والعمرة.

(جامع الترمذي 455/3).

وقال عنه الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح». (هامس المسند 244/5)، وقال عنه الشيخ الألباني: «حسن صحيح». (صحيح سنن الترمذي 245/1، وصحيح سنن النسائي 558/2) وقال عنه الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده حسن». (هامش الإحسان 6/9).

(1) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان 6/9.

(2) فيض القدير 225/3.

(3) سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، فضل المتابعة بين الحج والعمرة، 115/5. وقال عنه الشيخ الألباني: «صحيح». (صحيح سنن النسائي 558/2).

المطلب السادس

صلة الرحم

ومن مفاتيح الرزق صلة الرحم. وسأتناول هذا الموضوع بعون الله تعالى من خلال النقاط الأربعة التالية:

أولا: المراد بصلة الرحم.

ثانيا: السند الشرعي لكون صلة الرحم من مفاتيح الرزق.

ثالثا: بماذا تكون صلة الرحم؟

رابعا: كيفية صلة الرحم مع أصحاب المعاصي.

أولا: المراد بصلة الرحم:

المراد بالرحم الأقارب. قال الحفاظ ابن حجر: «الرحم بفتح الراء وكسر الحاء المهملة، يطلق على الأقارب، وهم من بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا، وسواء كان ذا محرم أم لا».

وقيل: هم المحارم فقط. والأول هو المرجَّح لأنّ الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوي المحارم وليس كذلك»[1].

---

(1) فتح الباري: 414/10.

وصلة الرحم –كما يقول الملاّ على القاري –كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والتعطّف علهم والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم[1].

ثانيا: السند الشرعي لكون صلة الرحم من مفاتيح الرزق:

وردت عدة أحاديث وآثار تدلّ على أنّ الله تعالى جعل صلة الرحم من أسباب السعة في الرزق. ومن تلك الأحاديث والآثار ما يلي:

أ- روى الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرّه أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره[2]فليصل رحمه»[1].

---

(1) انظر: مرقاة المفاتيح 645/8.

(2) (أن ينسأ له في أثره): (ينسأ): بضم أوله وسكون النون بعدها مهملة ثم همزة أي يؤخر. (في أثره): أي في أجله، وسمى الأجل أثر لأنه يتبع العمر. (فتح الباري 416/10).

تنبيه: أثار المحدثون رحمهم الله تعالى سؤالًا حول ما جاء عن زيادة العمر بسبب صلة الرحم وأجابوا عنه. فعلى سبيل المثال جاء في فتح الباري: قال ابن التيم: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾.

والجمع بينهما من وجهين: أحدهما أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة للملك الموكل بالعمر. وأما الأول الذي دلت علت الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلًا: «إن عمر

ب- ومنها ما روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «من أحبّ أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[2].

ففي هذين الحديثين الشريفين بيّن النبي الكريم ﷺ أنّ لصلة الرحم ثمرتين هما: البسط في الرزق، والزيادة في العمر.

وهذا عرض مفتوح قدّمه أصدق خلق الله تعالى الناطق بالوحي ﷺ ، فمن رغب في هاتين الثمرتين فعليه أن يقدّم بذرتهما وهي: صلة الرحم.

هذا، وقد عنون الإمام البخاري على هذين الحديثين بقوله: «باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم»[3].

أي بسبب صلة الرحم[1].

فلان مائة مثلًا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها» وقد سبق في علم الله تعالى أنه يصل أو يقطع، فالذي ف علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** ﴾ فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البته، ويقال له القضاء المبرم، ويقال للأول القضاء المعلق. (فتح الباري 416/10 باختصار، وأنظر أيضًا: شرح النووي 114/16، وعمدة القاريء 91/22).

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم الحديث 5985، 415/10.

(2) المرجع السابق، رقم الحديث 5986، 415/10.

(3) المرجع السابق 415/10.

وقد روى الإمام ابن حبان حديث أنس بن مالك ﷺ في صحيحه وعنون عليه بقوله: «ذكر إثبات طيب العيش في الأمن وكثرة البركة في الرزق للواصل رحمه»[2].

جـ - ومنها ما روى الأئمة أحمد والترمذي والحاكم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة[3] في الأهل[4]، مثراة في المال[5]، منسأة في العمر[6]»[7].

---

(1) عمدة القارئ 91/22.

(2) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب صلة الرحم وقطعها، 180/2.

(3) (محبة): بفتحات وتشديد الموحدة مفعلة من الحب مصدر مبنى للمفعول. وفي نسخة للمشكاة بكسر الحاء أي مظنة للحب وسبب للود. (مرقاة المفاتيح 667/8).

(4) (فى الأهل): أى في أهل الرحم. (المرجع السابق 667/8).

(5) (مثراة في المال): مثراة. بفتح الميم وسكون المثلثة. وقال الإمام ابن الأثير: «مثراة – مفعلة – من الثراء: الكثرة». (النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «ثرا» 210/1) والمراد بـ (مثراة في المال) أي سبب لكثرة المال. (مرقاة المفاتيح 667/8).

(6) (منسأة في العمر): يعني به الزيادة في العمر. (جامع الترمذي 97/6).

(7) المسند، رقم الحديث 8855، 42/17؛ وجامع الترميذي، وأبواب البر والصلة ، باب ما جاء في تعليم النسب، رقم الحديث 2045، 96/6 – 97، واللفظ له؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب البر والصلة، 161/4. وقال عنه الإمام الحاكم:« هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». (المرجع السابق 161/4). ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص 161/4) وصحح الشيخ أحمد محمد شاكر إسناده. (انظر: هامش المسند 42/17) وصححه الشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن الترميذي 190/2).

ففي هذا الحديث الشريف بيّن النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه أنّ لصلة الرحم ثلاث ثمرات، والثانية منها الكثرة في المال.

د — ومنها ما روى الأئمة عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني عن علي بن أبي طالب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من سرّه أن يمدّ له في عمره، ويوسَّع عليه في رزقه، ويدفع عنه ميته السوء فليتق الله وليصل رحمه» (1).

وفي هذا الحديث الشريف بيّن الصادق والمصدوق صلوات ربي وسلامه عليه أن ثلاث فوائد تتحقّق بفضل الله تعالى لمن وجدت فيه خصلتان، وهما: تقوى الله تعالى، وصلة الرحم، وإحدى تلك الفوائد الثلاثة: صلة الرحم.

هـ – ومنها ما روى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «من اتّقى ربّه، ووصل رحمه أنسئ له في عمره، وثرِّي ماله، وأحبّه أهله»(2).

---

(1) المسند، رقم الحديث 1212، 290/2؛ ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب البر صلة الرحم وقطعها، 152/8 – 153.
وقال عنه الحافظ الهيثمي:« رواه عبد الله بن أحمد، والبزار، والطبراني في الأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح غير عاصم بن حمزة وهو ثقة». (المرجع السابق 153/8).
(عاصم بن حمزة): الصحيح أنه عاصم بن ضمرة وكتابة (حمزة) خطأ مطبعي (انظر: هامش المسند 290/2).
وقال عنه الشيخ أحمد محمد شاكر: «إسنادة صحيح». المرجع السابق 290/2).
(2) الأدب المفرد، باب من وصل رحمه أحبه الله، رقم الحديث 59، ص37.

و- هذا، وقد بلغت شدّة أثر صلة الرحم في نموّ الأموال وإبعاد الفقر حتى إن الفجرة تنمو بسببها بفضل الله تعالى أموالهم ويكثر عددهم ويبتعد عنهم الفقر. فقد روى الإمام ابن حبان عن أبي بكرة ﷺ عنّ النبي ﷺ قال: « إنّ أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم، حتى إنّ أهل بيت ليكونوا [1] فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون»[2].

ثالثا: بماذا تكون صلة الرحم؟

يحصر بعض الناس مفهوم صلة الرحم فيما كانت بالمال.

وهذا الحصر غير سديد. إنّ مفهومها أوسع من ذلك. إنها السعي إلى إيصال الخير إلى الأقارب ودفع الشر عنهم سواء أكان بالمال أو بغيره. فقد قال الإمام ابن أبي جمزة :«تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء».

---

(1) (ليكونوا) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط:«كذا الأصل، والجادة: (ليكونون) كما في«مكارم الأخلاق» ص45 للخرائطي، لأن الفعل مرفوع، ويجوز حذف النون تخفيفا في الشعر والنثر بغير ناصب ولا جازم شبيها لها بالضمة». (هامش الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان 183/2).

(2) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب صلة الرحم وقطعها، رقم الحديث440، 182 - 183. وصحح الشيخ شعيب الأرناؤوط الحديث في ضوء الشواهد التي أوردها في هامش الإحسان. (انظر: منه 183/2 - 184).

والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة[1].

رابعا: كيفية صلة الرحم مع أصحاب المعاصي:

يخطيء بعض الناس في فهم كيفية صلة الرحم مع أصحاب المعاصي، فيظنّون أن صلة الرحم معهم تقتضي التحابب والتوادد معهم، ومجالستهم ومؤاكلتهم ومداهنتهم. وهذا ليس بصحيح.

من المعروف أنّ الإسلام لا يمنع من الإحسان إلى الأقارب من أهل المعاصي بل حتى إلى الكفار كما دلّ على ذلك قوله عزّ وجلّ ﴿ **لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [2] وكما دلّ عليه حديث استفتاء أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما رسول ﷺ عن صلة أمها المشركة. فقد جاء فيه: «قلت :«إن أمي قدمت وهي راغبة[3]، أفأصل أمي؟

قال ﷺ: «نعم ، صلي أمك»[4].

---

(1) نقلا عن تحفة الأحوذي 30/6.

(2) سورة الممتحنة/الآية:8.

(3) قال الحافظ ابن حجر: «وفي رواية (جاءتني راغبة راهبة) والمعنى أنها قدمت طالبة في بر ابنتها، خائفة من ردها إياها خائبة، هكذا فسره الجمهور». (فتح الباري 234/5).

(4) روى الحديث الإمام البخاري. (انظر: صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين..، رقم الحديث 2620، 233/5).

لكن لا يعني هذا التحابب والتوادد مع أهل الكفر والمعاصي ومجالستهم ومؤاكلتهم ومداهنتهم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ** [1]**مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** [2]**وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [3] الآية[4].

ومعنى هذه الآية الكريمة –كما ذكر الإمام الرازي – أنّه لا يجتمع إيمان مع وداد أعداء الله، وذلك من أحبّ أحدًا امتنع أن يحبّ مع ذلك عدوّه[5].

واستدلّ الإمام مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم[6].

وقال الإمام القرطبي تعليقاً على استدلال الإمام مالك:

«قلت: «وفي معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان»[7].

وقال الإمام الخطابي: «فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة». (نقلا عن فتح الباري 234/5).

(1) (يوادون) يحبون ويوالون. (تفسير القرطبي 107/17).

(2) (من حاد الله ورسوله): أي شاقهما وخالف أمرهما. (تفسير القاسمي 89/16).

(3) (عشيرتهم): عشيرة الرجل: قبيلته الذي يجتمع معهم في جد غير بعيد. (تفسير التحرير والتنوير 60/28).

(4) سورة المجادلة/جزء من الآية 22.

(5) التفسير الكبير 276/29، وانظر أيضا: فتح القدير 272/5.

(6) انظر: أحكام القرآن لابن العربي 1763/4، وتفسير القرطبي 307/17.

(7) المرجع السابق 307/17، وانظر أيضا: تفسير التحرير والتنوير 80/26.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: «أي لا يوادّون المحادّين ولو كانوا من الأقربين»[1].

بل إنّ صلة الرحم مع أولئك في بذل السعي لمنعهم من الاقتراب من النار والتباعد عن الجنة. وإذا اقتضت المصلحة لتحقيق هذا الهدف الأسمى والغاية العظمى مقاطعتهم فتكون المقاطعة آنذاك هي صلة الرحم.وفي هذا يقول الإمام ابن أبي جمرة: «فإن كانوا كفارا أو فجاراً فمقاطعتهم في الله هي صلتهم بشرط بذل الجهود في وعظهم ثم إعلامهم إذا أصرّوا أن ذلك بسبب تخلّفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى»[2].

(1) تفسير ابن كثير 347/4.
(2) نقلا عن تحفة الأحوذي 30/6.

المطلب السابع

الإنفاق في سبيل الله تعالى

ومن مفاتيح الرزق الإنفاق في سبيل الله تعالى.

وسأتحدّث عن هذا الموضوع بتوفيق من الله تعالى من خلال النقطتين التاليتين:

أولا: المراد بالإنفاق.

ثانيا: السند الشرعي لكون الإنفاق في سبيل الله تعالى من مفاتيح الرزق.

أولا: المراد بالإنفاق:

يقول الشيخ ابن عاشور أثناء تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ الآية:«والمراد بالإنفاق: الإنفاق المرغَّب فيه في الدين كالإنفاق على الفقراء والإنفاق في سبيل الله لنصر الدين»[1].

ثانيا: السند الشرعي لكون الإنفاق في سبيل الله تعالى من مفاتيح الرزق:

وردت عدة نصوص في القرآن الكريم والحديث الشريف تدلّ على أنّ من أنفق في سبيل الله تعالى فإن الله جلّ جلاله يخلفه في الدنيا، إلى

(1) تفسير التحرير والتنوير 221/22.

جانب ما أعدّ له من ثواب جزيل في الآخرة. وفيما يلي بعض تلك النصوص:

أ – منها قول الله جلّ جلاله: ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ (1).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير الآية:«أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث...»(2).

ويقول الإمام الرازي:«قول تعالى: ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ** ﴾ يحقّق معنى قوله عليه الصلاة: «ما من يوم يصبح العباد فيه...» الحديث، وذلك لأنّ الله ملك علي وهو غني مليء، فإذا قال:« أنفق وعليّ بدله». فبحكم الوعد يلزمه، كما إذا قال:« ألق متاعك في البحر وعليّ ضمانه».

فمن أنفق فقد أتى بما هو شرط حصول البدل، ومن لم ينفق فالزوال لازم للمال، ولم يأت بما يستحقّ عليه البدل، فيفوت من غير خلف وهو التلف.

(1) سورة سبأ / جزء من الآية 39.

(2) تفسير ابن كثير 595/3، وانظر أيضا: تفسير التحرير والتنوير حيث جاء فيه: «وظاهرة الآية أن إخلاف الرزق يقع في الدنيا وفي الآخرة». (221/22).

ثم من العجب أنّ التاجر إذا علم أنّ مالاً من أمواله في معرض الهلاك يبيعه نسئية، وإن كان من الفقراء، ويقول بأنّ ذلك أولى من الإمهال إلى الهلاك، فإنّ لم يبع حتى يهلك ينسب إلى الخطأ، ثم إن حصل به كفيل مليء ولا يبيع ينسب إلى الجنون.

ثم إنّ كل واحد يفعل هذا ولا يعلم أنّ ذلك قريب من الجنون، فإنّ أموالنا كلّها في معرض الزوال المحقّق، والإنفاق على أهل والولد إقراض، وقد حصل التضامن المليء وهو الله العليّ، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ** ﴾.

ثم رهن عند كل واحد إما أرضاً أو بستاناً أو طاحونةً أو حماماً أو منفعةً، فإنّ الإنسان لابد أن يكون له صنعة أو جهة يحصل له منها مال، وكل ذلك ملك الله، وفي يد الإنسان بحكم العارية فكأنه مرهون بما تكفّل الله من رزقه ليحصل له الوثوق التام، ومع هذا لا ينفق ويترك ماله ليتلف لا مأجوراً ولا مشكوراً[1].

هذا، وقد أكّد الله جلّ جلاله في هذه الآية وعده للمنفق بإخلاف الرزق بثلاثة مؤكّدات. وفي هذا يقول ابن عاشور:«وأكّد ذلك الوعد بصيغة شرط، ويجعل جملة الجواب اسمية، وبتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بقوله: (فهو يخلفه)، ففي هذا الوعد ثلاثة مؤكدات دالة

(1) التفسير الكبير 263/25.

على مزيد العناية بتحقيقة لينتقل من ذلك إلى الكناية عن كونه مرغوبه تعالى»[1].

وإنّ وعد ربنا سبحانه وتعالى مؤكَّد حتمي قطعي لا ريب في تحقّقه حتى ولو كان بغير أيَّ مؤكد، فكيف إذا أكَّد بثلاثة مؤكدات!

ب – ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [2]قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية الكريمة: «اثنان من الله، واثنان من الشيطان: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ** ﴾ يقول: « لا تنفق مالك وأمسكه لك فإنك تحتاج إليه»، ﴿ **وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ** ﴾ ﴿ **وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ** ﴾ على هذه المعاصي، ﴿ **وَفَضْلًا** ﴾ في الرزق»[3].

---

(1) تفسير التحرير والتنوير 221/22.

(2) سورة البقرة/ الآية: 268.

(3) تفسير الطبري، رقم الأثر 6168، 571/5، وانظر أيضا: التفسير الكبير 65/7؛ وتفسير الخازن 290/1 حيث جاء فيه: «فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة، والفضل إشارة إلى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق والخلف».

وقال القاضي ابن عطية في تفسير الآية الكريمة: «والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة، والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه، والتنعيم في الآخرة، وبكلٍ قد وعد الله تعالى»(1).

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزية في تفسير الآية الكريمة: هذا، وإن وعده له الفقر ليس شفقة عليه، ولا نصيحة له ... وأمّا الله سبحانه وتعالى فإنّه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه، وفضلاً بأنّ يخلف عليه أكثر ممّا أنفق وأضعافه إمّا في الدنيا أو في الدنيا والآخرة(2).

جـ - ومنها ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﵁ يبلغ به النبي ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: «يا ابن آدم! أنفق أُنفق عليك»(3).

الله أكبر! ما أوثقه من ضمان للمنفق في سبيل الله تعالى! وما أيسره وأسهله من طريق لنيل الرزق! ينفق العبد في سبيل الله تعالى وينفق من بيده ملكوت كل شيء عليه. وإذا كان العبد ينفق على قدر استطاعته فسينفق من له خزائن السموات والأرض وملكوت كل شيء عليه بما يليق بجلاله وعظمته وقدرته.

---

(1) المحرر الوجيز 329/2.

(2) التفسير القيم ص 168، وانظر أيضا: فتح القدير للشوكاني 438/1 حيث قال فيه: « والفضل أن يخلف عليهم أفضل مما أنفقوا فيوسع لهم في أرزاقهم، وينعم عليهم في الآخرة بما هو أفضل وأكثر وأجل وأجمل».

(3) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، رقم الحديث 36 (993)، 690/2 – 691.

يقول الإمام النووي: «قوله عز وجل: « (أنفق أنفق عليك»هو معنى قوله عز وجل :﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ فيتضمّن الحث على الإنفاق معنى في وجوه الخير، والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى»[1].

د – ومّما يدلّ على أنّ الإنفاق في سبيل الله تعالى من مفاتيح الرزق ما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: « اللهم أعط منفقاً خلفاً[2]، ويقول الآخر: « اللهم أعط ممسكاً تلفاً [3]» [4].

ففي هذا الحديث الشريف أخبر النبي الكريم ﷺ أنّ ملكا يدعو كل يوم للمنفق بأن يعطيه الله خلفاً. والمراد به –كما يقول الملاّ على القاريء – أي عوضاً عظيماً، وهو العوض الصالح، أو عوضا في

(1) شرح النووي 79/7.
(2) (خلفا): بفتح اللام أي عوضا، يقال: «أخلف الله عليك خلفاً» أي عوضاً أي أبدلك بما ذهب منك. (عمدة القاريء 307/8).
(3) (أعط ممسكا تلفا): أي لماله حسا أو معنى، وفي إيراده بلفظ الإعطاء مشاكلة: (مرقاة المفاتيح 366/4) ويقول السيد محمد رشيد رضا: (تلفا): «أي تلفا لماله بأن يذهب حيث لا يفيد». (تفسير المنار 74/3).
(4) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى... ﴾ اللهم أعط منفق ماله خلفا، رقم الحديث 1442، 304/3.

الدنيا وبدلا في العقبى لقوله تعالى: : ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [1].

ومعلوم أنّ دعاء الملائكة مجاب[2] لأنهم لا يدعون لأحد إلا بإذنه جلّ جلاله. قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**[3] ﴾ .

هـ ومنها ما رواه الإمام البيهقي عن أبي هريرة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «أنفق يا بلال! ولا تخش من ذي العرش إقلالاً»[4].

ما أقواه من ضمان وأمنته للمنفق في سبيل الله تعالى! هل سيخذل ذو العرش جلّ جلاله الذي أنفق ماله في سبيله سبحانه وتعالى فيموت فقرا وإعداما؟ كلا وعزة ربنا وجلاله!.

(1) مرقاة المفاتيح 366/4. ويقول السيد محمد رشيد رضا: « ومعنى هذا الدعاء عندي أن من سنن الله أن يخلف على المنفق بما يسهل له من أسباب الرزق، ويرفع به شأنه في قلوب، وأن يحرم البخيل من ذلك». (تفسير المنار 74/4).

(2) انظر: عمدة القاريء 307/8.

(3) سورة الأنبياء/ جزء من الآية: 28.

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان. (انظر: مشكاة المصابيح، كتاب الزكاة، باب الإنفاق وكراهية الإمساك، رقم الحديث 1885 باختصار، 590/1 – 591).

وقال عنه الشيخ الألباني:« حديث صحيح لطرقة». (هامش مشكاة المصابيح 591/1).

وانظر أيضاً: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 126/3، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس 243/1 – 244، وتنقيح الرواة في تخريج أحاديث المشكاة للشيخ أحمد حسن الدهلوي 19/2.

يقول الملاّ علي القاري في شرح الحديث: «(إقلالاً): أي فقراً وإعداماً: أي أتخشى أن يضيّع مثلك من هو يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض؟

أي: أتخاف أن يخيّب أملك ويقلّل رزقك من رحمته عمّت أهل السماء والأرض، والمؤمن والكافر، والطيور والدواب؟»[1].

و – وكم من شواهد في كتب السنة والسيرة والتراجم والتاريخ وحتى في واقعنا العاصر تدلّ على إخلاف الله تعالى الرزق للمنفق في سبيله.وسأقتصر على إيراد شاهد واحد في هذا المقام إن شاء الله تعالى.

فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال«بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتا في سحابة:« اسق حديقة[2] فلان».

فتنحّى[3]ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة[4]، فإذا شرجة[1] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله. فتتّبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحوِّل الماء بمسحاته[2]، فقال له:«يا عبد الله! ما اسمك؟».

(1) مرقاة المفاتيح 389/4.

(2)(الحديقة): القطعة من النخيل ويطلق على الأرض ذات الشجرة. (شرح النووي 114/18).

(3)(فتنجى): أي قصد، يقال:«تنحيت الشيء وانتحيته ونحوته» إذا قصدته. (انظر: المرجع السابق 114/18 – 115).

(4)(حرة): بفتح الحاء فهي أرض ملبسة حجارة سودا. (انظر: المرجع السابق

قال:«فلان» للاسم الذي سمع في السحابة.

فقال له :«يا عبد الله! لم تسألني عن اسمي؟».

فقال: «إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه .

يقول:«اسق حديقة فلان». لاسمك فما تصنع فيها؟

قال:«أما إذا قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدّق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثا، وأردّ فيها ثلثه»[3].

وفي رواية:« واجعل ثلثة في المساكين والسائلين وابن السبيل»[4].

يقول الإمام النووي: «وفي الحديث فضل الصدقة والإحسان إلى المساكين وأبناء السبيل، وفضل أكل الإنسان من كسبه والإنفاق على العيال»[5].

.(115/18

(1)(شرجة): بفتح الشين وإسكان الراء، وجمعها شراج بكسر الشين، وهي مسائل الماء في الحرار. (المرجع السابق 115/18).

(2) (بمسحاته): قال العلامة الفيروزآبادي: سحا الطين يسحيه ويسحوه ويسحاه سحيا: قشرة وجرفة. والمسحاة بالكسر ما سُحِي به. (القاموس المحيط، مادة «سحا»، 343/4).

(3) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة على المساكين، رقم الحديث 45 (2984)، 2288/4.

(4) المرجع السابق 2288/4.

(5) شرح النووي 115/18.

المطلب الثامن

الإنفاق على من تفرّغ لطلب العلم الشرعي

ومن مفاتيح الرزق الإنفاق على من تفرّغ لطلب العلم الشرعي. ومما يدل على هذا ما رواه الإمامان الترمذي والحاكم عن أنس بن مالك ﷺ قال:«كان أخوان علي عهد رسول الله ﷺ ، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ [1]، والآخر يحترف[2]، فشكا المحترف[3] أخاه إلى النبي ﷺ ، فقال: «لعلّك ترزق به»[4].

ففي هذا الحديث الشريف. بيّن النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه لمن جاء شاكيا إليه بسبب انشغال أخيه في طلب العلم الشرعي وتركه إياه منفرداً لكسب المعيشة، أنه ما كان ينبغي له المنّ بسبب إنفاقه

(1) (فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ): أي لطلب العلم والمعرفة. (مرقاة المفاتيح 170/9).

(2) (والآخر يحترف): أي يكسب أسباب المعيشة، فكأنهما كانا يأكلان معا. (المرجع السابق 170/9).

(3) (فشكا المحترف): أي في عدم مساعدة أخيه إياه في حرفته أو في كسب آخر لمعيشة.(المرجع السابق 170/9 – 171).

(4) جامع الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، رقم الحديث 2448، 8/7، واللفظ له؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، 93/1 – 94.

وقال عنه الإمام الحاكم:«هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ورواته عن آخرهم ثقات ولم يخرجاه». (المرجع السابق 94/1).

ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر: التلخيص 94/1). وقال عنه الشيخ الألباني: «صحيح». (صحيح سنن الترمذي 274/2).

على أخيه ظناً منه أنّ الرزق يأتي بسبب حرفته، وما يدريه أنّ الله تعالى قد فتح عليه باب الرزق بسبب إنفاقه على أخيه المتفرّغ لطلب العلم الشرعي.

يقول الملاَّ علي القاري في شرح قوله ﷺ : «لعلَّك ترزق به» بصيغة المجهول أي :«أرجو أو أخاف أنك مرزوق ببركته لا أنه مرزوق بحرفتك فلا تمنن عليه بصنعتك»[1].

ويقول العلاَّمة الطيبي: ومعنى «لعلّ» في قوله ﷺ :«لعلّك» يجوز أن يرجع إلى رسول الله ﷺ فيفيد القطع والتوبيخ، كما ورد:«فهل ترزقون إلا بضعفائكم» وأن يرجع للمخاطب ليبعثه على التفكّر والتأمّل فينتصف من نفسه»[2].

هذا، وقد ذكر بعض العلماء[3] أنّ المتفرّغين للعلم الشرعي يدخلون فيمن ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾[4].

---

(1) مرقاة المفاتيح 171/9.
(2) مرقاة المفاتيح 171/9.
(3) انظر: تفسير المنار 88/3.
(4) سورة البقرة/الآية: 273.

وقال الإمام الغزالي:«كما ينبغي أن يطلب بصدقته من تزكو به الصدقة كأن يكون أهل علم فإن ذلك إعانة له على العلم، والعلم أشرف العبادات مهما صحّت فيه النية.

وكان ابن المبارك يخصّص بمعرفة أهل العلم. فقيل له: «لو عمّمت»!. فقال :«إنّي لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء. فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرّغ للعلم ولم يقبل على التعلّم. فتفريغهم للعلم أفضل»(1).

(1) نقلا عن تفسير القاسمي:250/3.

المطلب التاسع

الإحسان إلى الضعفاء

ومن مفاتيح الرزق الإحسان إلى الفقراء. فقد بيّن النبي الكريم ﷺ أن العباد ينصرون ويرزقون بسبب ضعفائهم.

روى الإمام البخاري عن مصعب بن سعد رضي الله عنه قال: رأى سعد رضي الله عنه أنّ له فضلاً على من دونه، فقال رسول الله ﷺ: «هل تنصرون[1] وترزقون[2] إلا بضعفائكم»[3].

فمن رغب في نصر الله تعالى إياه ورزقه جلّ جلاله فليكرم الضعفاء وليحسن إليهم.

وبيّن النبي الكريم ﷺ أيضاً أنّ رضاءه – ﷺ – يطلب بالإحسان إلى الفقراء. فقد روى الأئمة أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ابغوني في ضعفائكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»[4]».

(1) (تنصرون): أي على أعدائكم. (مرقاة المفاتيح 84/9).
(2) (ترزقون): أي الأموال من الغنيمة وغيرها. (المرجع السابق 84/9).
(3) صحيح البخاري (المطبوع مع عمدة القاريء)، كتاب الجهادوالسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، رقم الحديث 108، 179/14.
(4) المسند 198/5(ط. المكتب الإسلامي)؛ وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب الانتصار برذال الخيل والضعفة، رقم الحديث 2591، 183/7؛ وجامع الترمذي، وأبواب الجهاد، باب ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين، رقم الحديث 1754، 291/5، واللفظ له؛ وسنن النسائي، كتاب الجهاد، الاستنصار بالضعيف، 45/6 – 46؛ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب السير، باب الخروج وكيفية

وقال الملاَّ علي القاري في شرح قوله ﷺ : «ابغوني في ضعفائكم»: اطلبوا رضائي بالإحسان إلى فقرائكم[1].

ومن سعى إلى إرضاء حبيب الرزاق ذي القوة المتين ﷺ بالإحسان إلى الفقراء فإن ربّه جل جلاله ينصره على أعدائه ويرزقه.

الجهاد، ذكر استحباب الانتصار بضعفاء المسلمين عند قيام الحرب على ساق، رقم االحديث 4767، 85/11؛ والمستدرك على الصحيحين، كتاب الجهاد، 106/2.

وقال عنه الإمام الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». (جامع الترمذي 292/5).
وصححه الإمام الحاكم. (انظر: المستدرك 106/2) ووافقه الحافظ الذهبي. (انظر التلخيص 106/2).

وصححه اشيخ الألباني. (انظر: صحيح سنن أبي داود 492/2، وصحح سنن الترمذي 140/2، وصحيح سنن النسائي 669/2، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث 779، 422/2).

(1)انظر: مرقاة المفاتيح 84/9.

المطلب العاشر

المهاجرة في سبيل الله تعالى

جعل الله عزّ وجلّ المهاجرة في سبيله سبحانه وتعالى مفتاحا من مفاتيح الرزق.

وسأتحدّث عن هذا الموضوع بتوفيق الله تعالى من خلال العنوانين التاليين:

أولا: المراد بالمهاجرة في سبيل الله تعالى.

ثانيا: السند الشرعي لكون المهاجرة في سبيل الله تعالى من مفاتيح الرزق.

أولا: المراد بالمهاجرة في سبيل الله تعالى:

المهاجرة: هى —كما يقول الإمام الراغب الأصفهاني[1] — الخروج من دار الكفر إلى الإيمان كمن هاجر من مكة إلى المدينة.

ويجب —كما يقول السيد محمد رشيد رضا[2] — أن تكون الهجرة في سبيل الله تعالى حقيقة إذ كان قصد المهاجر منها إرضاء الله تعالى بإقامة دينه كما يجب كما يحبّ تعالى، ونصر أهله المؤمنين على من يبغي عليهم من الكافرين.

(1) المفردات في غريب القرآن، مادة «هجر»، ص537، وانظر أيضا: تحرير ألفاظ التنبيه ص313، وكتاب التعريفات ص277.
(2) انظر: تفسير المنار 359/5.

ثانيا: السند الشرعي لكون المهاجرة في سبيل الله تعالى من مفاتيح الرزق:

ومما يدلّ على كون المهاجرة في سبيل الله تعالى من أسباب الرزق قوله جلّ جلاله: ﴿ **وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً** ﴾ [1].

ففي هذه الآية الكريمة وعد الله تعالى أنّ من هاجر في سبيله سبحانه وتعالى سيجد أمرين: أولهما ﴿ **مُرَاغَمًا كَثِيرًا** ﴾، وثانيهما: «سعة».

والمراد بالأمر الأول كما يقول الإمام الرازي: «ومعنى (مراغما): ومن يهاجر في سبيل الله إلى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه في بلدته الأصلية، وذلك لأنّ من فارق وذهب إلى بلدة أجنبية فإذا استقام أمره في تلك البلدة الأجنبية ووصل ذلك الخبر إلى أهل بلدته خجلوا من سوء معاملتهم معه، ورغمت أنوافهم بسبب ذلك»[2].

---

(1) سورة النساء/ جزء من الآية 100.

(2) التفسير الكبير 15/11، وانظر أيضا: تفسير القاسمي 407/5، وتفسير التحرير والتنوير 180/5، حيث جاء فيه:« أي يجد مكانا يرغم فيه من أرغمه، أي يغلب فيه قومه باستقلاله عنهم كما أرغموه باكراهه على الكفر».

والمراد بالأمر الثاني «سعة» السعة في الرزق. وهذا ما قاله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية، والربيع والضحاك[1] وعطاء[2] وجمهور علماء الأمة[3].

وقال قتادة :« المعنى: سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن العيلة إلى الغنى[4].

وقال الإمام مالك: «السعة سعة البلاد»[5].

وقال الإمام القرطبي تعليقاً على هذه الأقوال الثلاثة:

«وهذا – قول الإمام مالك – أشبه بفصاحة العرب، فإنّ بسعة الأرض وكثرة المعاقل تكون السعة في الرزق، واتساع الصدور لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج»[6].

وبأيِّ قول من هذه الأقوال الثلاثة أخذناه فإنّ المهاجر في سبيل تعالى له وعد من الله تعالى بالسعة في الرزق إما بأسلوب مباشر أو غير مباشر.

(1) انظر: المحرر الوجيز 228/4، وزاد المسير 179/2، وتفسير القرطبي 348/5.
(2) انظر:فتح القدير 764/1.
(3) انظر: زاد المسير 179/2، وروح المعاني 127/5، وتفسير المنار 359/5، وأيسر التفاسير 445/1.
(4) تفسير القرطبي 348/5، وانظر أيضا: تفسير ابن كثير 597/1.
(5) تفسير القرطبي 348/5، وانظر أيضا: روح المعاني 127/5.
(6) تفسير القرطبي 348/5.

ووعد القادر المقتدر جلّ جلاله حق لا خلف فيه. ومن أوفي بعهده من الله؟

وقد شهد العالم صدق هذا الوعد ولا يزال يشهد.

وما أمر المهاجرين إلى المدينة المنورة من أصحاب الرسول الكريم ﷺ يخاف على من له أدنى صلة بالتاريخ الإسلامي. لما تركوا الدور والأموال والمتاع للهجرة في سبيل الله تعالى عوّضهم الله تعالى عنها. أعطاهم جلّ جلاله مفاتيح الشام وفارس واليمن، وملّكهم قصور الشام الحمر، وقصر المدائن الأبيض، وفتح لهم أبواب صنعاء، وسخّر لهم خزائن قيصر وكسرى.

ويقول الإمام الرازي مبيّناً خلاصة تفسير الآية الكريمة: «والحاصل كأنه قيل: يا أيها الإنسان! إن كنت إنما تكره الهجرة عن وطنك خوفا من أن تقع في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فإنّ الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب العظيمة في مهاجرتك ما يصير سبباً لرغم أنوف أعدائك ويكون سببا لسعة عيشك »[1].

الخاتمة

الحمد لله الذي منّ على العبد الضعيف إنجاز هذا البحث، ويرجى بعفوه وكرمه قبوله. ويظهر من خلاله عدة أمور منها ما يلي:

1 – جعل الله جلّ جلاله للرزق أسبابا ومفاتيح. ومنها ما يلي:

---

(1) التفسير الكبير 15/11.

أ – الاستغفار والتوبة، والمراد بهما أن يكون طلبهما بالمقال والفعال.

ب – التقوى، وحقيقته حفظ النفس عمّا يؤثم، أو امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، أو صيانة النفس عمّا تستحقّ به العقوبة من فعل أو ترك.

جـ – التوكّل وهو: إظهار عجز العبد والاعتماد على الله تعالى وحده.

د – التفرّغ لعبادة الله تعالى وهو: المبالغة في فراغ القلب لعبادة المولى عزّ وجلّ.

هـ – المتابعة بين الحج والعمرة وهي: أداء أحدهما بعد الآخر.

و – صلة الرحم وهي: الإحسان إلى الأقربين.

ز – الإنفاق في سبيل الله تعالى: وهو الإنفاق فيما يحبّه الله تعالى ويرضاه.

ح – الإنفاق على من تفرّغ لطلب العلم الشرعي.

ط – الإحسان إلى الضعفاء.

ي – المهاجرة في سبيل الله تعالى وهي: الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان ابتغاء مرضاة الله تعالى وفق شرعه تعالى.

2 – يجب أن يكون الاستغفار والتوبة بالمقال والفعال، فإن الاستغفار والتوبة باللسان دون الفعال فعل الكذّابين.

كما يجب أن يكون التقوى بوقاية النفس عن معصية الله، وبامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن الأدّعاء المجرَّد لا يفيد لا في الدنيا ولا في الآخرة.

3 – لا يقتضي التوكّل والتفرّغ لعبادة الله عز وجل ترك السعي لكسب المعيشة.

4 – لا تنحصر صلة الرحم في الصلة بالمال، بل هي:

إيصال ما أمكن من الخير إلى الأقارب، ودفع ما أمكن من الشر عنهم بحسب الطاقة. ولا تتطلب صلة الرحم مع أهل المعاصي التحابب والتوادد ومداهنتهم، بل إن صلة الرحم مع أولئك في بذل السعي لمنعهم عن المعاصي.

وأوصي إخواني المسلمين في أرجاء المعمورة بالتمسّك بتلك الأسباب لنيل الرزق فإنّ الخير كلّه في التمسّك بما شرع الخالق جلّ وعلا، والشر كلّه في الإعراض عنه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [1] وقال تعالى: **﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾** [2]

.

(1) سورة الأنفال/ الآية:24.
(2) سورة طه/الآيات: 124 – 126.

وصلّى الله تعالى على نبينا وعلى آله وأصحابه وأتباعه وبارك وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

1 - « الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان » للأمير علاء الدين الفارسي، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

2 - «أحكام القرآن» للإمام أبي بكر بن العربي، ط: دار المعرفة بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الأستاذ على محمد البجاوي.

3 - «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي، ط:دار المعرفة بيروت، سنة الطبع 1403هـ.

4 -«الأدب المفرد» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط: عالم الكتب بيروت، الطبعة الثانية 1405هـ، بترتيب وتقديم الأستاذ كمال يوسف الحوت.

5 - «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» للعلامة محمد الأمين الشنقيطي، ط: على نفقة سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز آل سعود، سنة الطبع 1403هـ.

6 - «أيسر التفاسير» للشيخ أبي بكر الجزائري، الطبعة الأولى 1407 هـ.

7 – « تحرير ألفاظ التنبيه» أو «لغة الفقه» للإمام محي الدين النووي، ط: دار القلم دمشق، الطبعة الأولى 1408هـ، بتحقيق الأستاذ عبد الغني الدقر.

8 – «تحفة الأحوذي» شرح جامع الترمذي للشيخ عبد الرحمن المباركفوري، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ.

9 – «تفسير البغوي» المسمَّى بـ «معالم التنزيل» للإمام أبي محمد البغوي، ط: دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى 1406هـ، بإعداد وتحقيق الأستاذين خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار.

10 – «تفسير التحرير والتنوير» للأستاذ محمد طاهر عاشور، ط: الدار التونسية للنشر تونس، سنة الطبع 1984م.

11 – «تفسير الخازن» المسمَّى «لباب التأويل في معاني التنزيل» للعلاّمة علاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن، ط: دار الفكر بيروت، سنة الطبع 1399هـ.

12 – «تفسير أبي السعود» المسمَّى بـ «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» للقاضي أبي السعود، ط:دار إحياء التراث العربي، بدون الطبعة وسنة الطبع.

13 - «تفسير الطبري» (جامع البيان من تأويل أي القرآن) للإمام أبي جعفر الطبري، ط: دار المعارف بمصر، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الشيخين محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر.

14 - «تفسير القاسمي» المسمَّى بـ «محاسن التأويل» للعلامةّ محمد جمال الدين القاسمي، ط: دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة 1398 هـ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.

15 - «تفسير القرطبي»المسمَّى بـ « الجامع لأحكام القرآن» للإمام أبي عبد الله القرطبي، ط: دار إحياء التراث العربي، بدون الطبعة وسنة الطبع.

16 - « التفسير القيِّم» للإمام ابن القيِّم، ط: دار الفكر بيروت، سنة الطبع 1408هـ، جمعة الشيخ محمد أويس الندوي، وحققه الشيخ محمد حامد الفقي.

17 - «التفسير الكبير» بـ«مفاتيح الغيب» للإمام فخر الدين الرازي، ط: دار الكتب العلمية طهران، الطبعة الثانية، بدون سنة الطبع.

18 - «تفسير ابن كثير» المسمَّى بـ«تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير، ط: دار الفيحاء دمشق ودار السلام الرياض، الطبعة الأولى 1413هـ، بتقديم الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

19 - «تفسير ابن مسعود ﷺ» من إعداد الأستاذ محمد أحمد عيسوي، ط: مؤسسة الملك فيصل الخيرية، الطبعة الأولى 1405هـ.

20 -«تفسير المنار» للسيد محمد رشيد رضا، ط: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية، بدون سنة الطبع.

21- «التلخيص» (المطبوع بذيل المستدرك على الصحيحين) للحافظ الذهبي، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

22 - «تنقيح الرواة في تخريج أحاديث المشكاة» للشيخ أحمد حسن الدهلوي، ط: المجلس العلمي السلفي لاهور، بدون الطبعة وسنة الطبع.

23 - «جامع الترمذي» (المطبوع مع تحفة الأحوذي) للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ.

24 - «حاشية الإمام السندي على سنن النسائي» للشيخ أبي الحسن السندي، ط: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى 1348هـ.

25 - «روح المعاني» للعلاّمة محمود الآلوسي، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الرابعة 1405هـ.

26 - «زاد المسير في علم التفسير» للإمام ابن الجوزي، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1984م.

27 - «رياض الصالحين» للإمام النووي، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الخامسة 1405هـ، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

28 - «سلسة الأحاديث الصحيحة» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتبة الإسلامية عمان والدار السلفية الكويت، الطبعة الأولى 1403هـ.

29 - «سنن أبي داود» (المطبوع مع عون المعبود) للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ.

30 - «سنن ابن ماجة» للأمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، ط: شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الثانية 1404هـ، بتحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي.

31 - «سنن النسائي» (المطبوع مع شرح السيوطي وحاشية السندي) للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى 1348هـ.

32 – «شرح السنة» للإمام البغوي، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1390هـ، بتحقيق الشيخين شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش.

33 – «شرح النووي على صحيح مسلم» للإمام النووي، ط: دار الفكر بيروت، سنة الطبع 1401هـ.

34 – «صحيح البخاري» (المطبوع مع فتح الباري) لإمام محمد بن إسماعيل البخاري، نشر وتوزيع: الرئاسة العامة لـلإدارات البحوث العلميةو الإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، بدون الطبعة وسنة الطبع.

35 – « صحيح ابن خزيمة» للإمام أبي بكر بن إسحاق بن خزيمة، ط:المكتب الإسلامي بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي.

36 – «صحيح سنن الترمذي» اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى 1409هـ.

37 – «صحيح سنن أبي داود» صحّح أحاديثة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى 1409 هـ.

38 - «صحيح سنن ابن ماجة» اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة 1408هـ.

39 - «صحيح سنن النسائي» صحح أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الأولى 1409هـ.

40 - «صحيح مسلم» للإمام مسلم بن حجاج القشيري، نشر وتوزيع:
الرئاسة العامة للإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، سنة الطبع 1400هـ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.

41 - «ضعيف سنن أبي داود» ضعّف أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ.

42 -«عمدة القارئ شرح صحيح البخاري» للعلاّمة بدر الدين العيني، ط: دار الفكر بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

43 - «عون المعبود» شرح سنن أبي داود للعلاّمة أبي الطيِّب العظيم آبادي، ط: دار الكتب العلمية بيروت ،الطبعة الأولى 1410هـ.

44 - «فتح الباري» شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، نشر وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض، بدون وسنة الطبع.

45 - «فتح القدير» للإمام محمد بن علي الشوكاني، التوزيع: المكتبة التجارية مكة المكرمة، بدون الطبعة وسنة الطبع، مع تعليق الأستاذ سعيد محمد اللحّام.

46 -«فيض القدير شرح الجامع الصغير» للعلاّمة محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، ط: دار المعرفة بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

47 - «القاموس المحيط» للعلاّمة مجد الدين الفيروز آبادي، ط: المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

48 - «كتاب التعريفات» للعلاّمة الجرجاني، ط: مكتبة لبنان بيروت، سنة الطبع 1985م.

49 - «كتاب الزهد» للإمام عبد الله بن المبارك، ط: دار الكتب العلمية بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع، بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.

50 - «كتاب السنن الكبرى» للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى

1411هـ، بتحقيق الأستاذين د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كروي حسن.

51 - «كتاب النظر والأحكام في جميع أحوال السوق» للإمام يحيى بن عمر الأندلسي، ط: الشركة التونسية للتوزيع، سنة الطبع 1975م.

52 - «الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» للعلاّمة أبي القاسم الزمخشري، ط: دار المعرفة بيروت، بدون سنة الطبع والطبعة.

53 - «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني،ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة 1405هـ بتصحيح الأستاذ أحمد القلاش.

54 - «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للحافظ نور الدين الهيثمي، ط" دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1402هـ.

45 - «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للحافظ نور الدين الهيثمي، ط: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1402هـ.

55 - « المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» للقاضي ابن عطيّة الأندلسي، بدون الناشر والطبعة وسنة الطبع، بتحقيق المجلس العلمي بفاس.

56 – « المستدرك على الصحيحين» للإمام أبي عبد الله الحاكم، دار الكتاب العربي بيروت، بدون الطبعة وسنة الطبع.

57 – «المسند» للإمام أحمد بن حنبل،ط: دار المعارف للطباعة والنشر مصر، الطبعة الثالثة، بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.

﴿ «**المسند**» ﴾ للإمام أحمد بن حنبل ، ط: المكتب الإسلامي بيروت. ﴾ >

58 – «مسند الشهاب» للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1407هـ، بتحقيق الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي.

59 –«مشكاة المصابيح» للشيخ محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية 1399هـ، بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

60 – «المفردات في غريب القرآن» للإمام راغي الأصفهاني، ط: دار المعرفة بيروت، بدون سنة الطبع، بتحقيق الأستاذ سيد كيلاني.

61 – «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» للحافظ ابن حجر، ط: قرآن محل كراتشي، بدون الطبعة وسنة الطبع.

62 - «النهاية في غريب الحديث والأثر» للإمام ابن الأثير، الناشر: المكتبة الإسلامية بيروت، بدون سنة الطبع، بتحقيق الأستاذين طاهر أحمد الزاوي ود. محمود الطناجي.

63- «هامش الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» للشيخ شعيب الأناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ.

64 - «هامش المسند» للشيخ أحمد محمد شاكر، ط: دار المعارف للطباعة والنشر مصر، الطبعة الثالثة.

65 - «هامش مشكاة المصابيح» للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية 1399هـ.

الفهرس